

الشيخ شلتوت وجهوده في التفسير اللغوي للقرآن الكريم

د / منى توني عنتر أحمد

مدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات
بني سويف - جامعة الأزهر

قسم التفسير وعلوم القرآن

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد بن عبدالله الذي بعثه رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الذين حملوا رسالة الاسلام، ورفعوا راية القرآن أولئك هم أولوا الألباب.

لقد كانت الطريقة المألوفة في التفسير هي أن يسير المفسر مع آيات الذكر الحكيم آية بعد آية، وسورة بعد سورة حسب الترتيب المصحفي، واستمر الحال على ذلك أزمان حتى جاء عصر النهضة الحديثة - في القرن الرابع عشر الهجري - فكان نهضة في جميع المجالات العلمية والفكرية والمادية والحضارية، وفي النهضة الفكرية ظهر التجديد في طريقة التفسير وأسلوبه على يد الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، وسلك تلاميذ الشيخ محمد عبده وأعلام مدرسته هذا المنهج وهو إظهار وجوه الهداية في القرآن الكريم، وكذلك خلت تفاسيرهم من الإسرائيليات المكذوبة والأخبار الموضوعة والأقاصيص المعلقة، كما خلت إلى حد كبير من التعميق والإغراق في البحوث العربية من بلاغة ونحو وصرف ولغة، والبحوث الشرعية من فقه وأصول فقه وعلم الكلام، والبحوث الفلسفية والعلوم الطبيعية والكونية، فالتوغل في تلك المباحث يبعد القارئ غالباً أن يتعرف على هدايات القرآن الكريم.

ومن أراد تفسير القرآن الكريم على المنهج القويم فليتجه أولاً إلى بيان وجوه الهداية التي أرشد إليها القرآن الكريم في العقيدة والتشريع

والعبادة والأخلاق، وجوانب الحياة الأخرى، ويتجه كذلك إلى الوجوه التي كان القرآن بها معجزة خالدة.

وقد أذن الله - سبحانه - بأن يكون في كل عصر وجيل علماء يبذلون جهوداً ويخصصون أنفسهم لخدمة كتاب الله وتفسيره ، كل على قدر طاقته وحسب ثقافته وأجواء عصره، ومن هؤلاء العلماء الشيخ محمود شلتوت - رحمه الله -، حيث تبوأ منزلة هامة في الفكر الاسلامي المعاصر فهو أحد علماء الأزهر ومشايخه البارزين ، إذ كان مفكراً واسع الأفق ، وكان عالماً محققاً اعتمد على البحث المتجدد في مؤلفاته. حيث أخصب المكتبة الاسلامية بروائع المؤلفات العلمية في التفسير والفقه وأصوله وغير ذلك، وللشيخ نظرة علمية ثاقبة بلغها بهمة عالية وذكاء وقاد واطلاع واسع ، فدوي صوته بالحق في شجاعة العالم المحقق وأسلوب الباحث المجدد.

وقد أصبح الناس في القرن العشرين في حاجة إلى تفسير يلائم حال الناس وثقافتهم، وقام الشيخ شلتوت بواجبه نحو كتاب الله وخدمته وكتب بحوثه وألقى محاضرات في تفسير القرآن الكريم بطريقة فريدة ونموذج رائع وأسلوب جديد يلائم ذوق العصر وثقافته ، عمد فيه إلى بيان وجوه الهداية والإعجاز في القرآن الكريم عقيدة وتشريعاً وأخلاقاً، وأسلوب نظم وسياق .

وللشيخ رؤية اصلاحية متكاملة للعلوم الاسلامية ، حاول تنفيذها من خلال اشرافه على المؤسسة العظيمة التي درس بها وتخرج منها وهي

الأزهر الشريف وجامعته ، بيد أن الظروف الداخلية والخارجية جعلته يحقق بعض هذا الإصلاحات التي نادى بها .

فضيلة الشيخ محمود شلتوت أحد الرجال الذين عاشوا قضية الاسلام ، فكان النموذج المشاهد الملموس لداعية الإسلام المعاصر الذي يملك الوسائل والأسباب والخصائص والمميزات التي تدفع به الى النجاح والتقدم فيما يدعو إليه من إصلاح وتجديد في شتى المجالات.

وقد قدمت في هذا البحث لمحة عن حياته ، وعطفت على نبذة من مؤلفاته ، مع بيان منهجه في التفسير وأهم خصائصه.

ومن ثم انتظم هذا البحث في: مقدمة، وثلاثة محاور، وخاتمة ، ثم ثبت المراجع.

المحور الأول: لحة عن حياة الشيخ شلتوت^(١)

اسمه:

هو الإمام العلامة الداعية المفسر الفقيه الأصولي الأديب اللغوي.
محمود بن محمد بن عبد الهادي شلتوت.

مولده

ولد الإمام في الخامس من شهر شوال سنة عشر وثلاثمائة وألف
من الهجرة ١٣١٠/١٠/٥ هـ ، الموافق للثاني والعشرين من شهر
أبريل سنة ثلاثة وتسعين وثمانمائة وألف من الميلاد ١٨٩٣/٤/٢٢ ،
في قرية منشأة بني منصور (منية بني منصور) التابعة لمركز آيتاي
البارود ، أحد مراكز مديرية البحيرة بمصر .

(١) ينظر في ذلك : مشيخة الأزهر على عبدالعظيم ج ٢ ، ص ١٨٥ وما بعدها - ط
مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٩م ، والنهضة الإسلامية في سير اعلامها
المعاصرين. د. محمد رجب البيومي - ج ٣ ، ص ٥٤ وما بعدها - ط- مجمع
البحوث الإسلامية سنة ١٩٨٢م. الاعلام للزركلي- ج ١٧ / ١٣٧. الشيخ شلتوت
ومنهجه في التفسير، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية أصول الدين القاهرة سنة
١٩٨٩م للباحث عبدالعزيز عزت ص ٢ ، وما بعدها.

نشأته وحياته :

نشأ في بيت عرف بالعلم والأدب، ورباه والده المرحوم الشيخ محمد شلتوت إلى أن بلغ السابعة من عمره، ثم لحق بربه فتولى تربيته عمه الشيخ محمد عبد القوي شلتوت الذي ألحقه بكتاب القرية ؛ ليحفظ القرآن الكريم فحفظه في مدة يسيرة والتحق بمعهد الاسكندرية الديني سنة ١٩٠٦م، وتلقى العلم بهذا المعهد العتيق على أيدي نخبة وصفوة من العلماء الأوفياء الصالحين، منهم الشيخ الجيزاوي والشيخ عبدالمجيد سليم وغيرهم. وكان - رحمه الله - أول فرقته في جميع مراحل الدراسة، وحصل على الشهادة العالمية النظامية في سنة ١٩١٨م ولم يتجاوز عمره الخامسة والعشرين وكان أول الناجحين فيها.

وظائفه:

تقلد الشيخ شلتوت العديد من الوظائف بمجرد حصوله على الشهادة العالمية النظامية ، وهذه الوظائف هي:

أولاً: عين مدرسا بمعهد الإسكندرية الذي تخرج منه وهو في السادسة والعشرين من عمره في ٣ فبراير ١٩١٩م .

ثانياً : عين مدرساً بالقسم العالي في القاهرة ، وذلك عندما تقلد الشيخ محمد مصطفى المراغي مشيخة الأزهر الشريف سنة ١٩٢٨م، حيث رأى الإفادة من الشيخ محمود شلتوت لما رآه فيه من علم وفهم

وحب للإصلاح والتجديد ، وقد ظل يدرس بالقسم العالي إلى أن اختارته
مشيخة الأزهر للتدريس بقسم التخصص سنة ١٩٣٠م ؛ ليدرس لحملة
الشهادة العالمية، حيث أصبح زميلاً لأساتذته السابقين.

ثالثاً: عمل لفترة قصيرة بالمحاماة .

رابعاً: عين وكيلًا بكلية الشريعة في شهر فبراير سنة ١٩٣٧م ،
وقد عينه الامام المراغي بعد عودته لمشيخة الأزهر الشريف .

خامساً: عين الشيخ شلتوت مفتشاً عاماً بالمعاهد الأزهرية لمعالجة
ما بها من قصور ١٩٣٨م ، و بعد أن قام بمهمة الإصلاح فيها عاد مرة
ثانية إلى وكالة كلية الشريعة .

ونظراً لما تمتع به من خبرة عالية في معترك الحياة العلمية ؛ تقلد
مناصب عديدة بعد ذلك، حيث حصل على عضوية كثير من المجالس
العلمية في سنة ١٩٣٨م، اختاره وزير الحقانية عضواً شرعياً بلجنة
تعديل القانون المدني، وفي سنة ١٩٣٩م عين عضواً بلجنة الفتوى
بالأزهر.

واختير عضواً في لجنة إذاعة التفسير بمحطة الإذاعة المصرية
وتقدم باقتراح حديث الصباح - قبل وبعد التلاوة القرآنية.

وفي سنة ١٩٤١م عين عضواً بجماعة كبار العلماء فكان أصغر
عضو فيها.

وفي عام ١٩٤٦م عين عضواً بمجمع اللغة العربية ، ثم انتدب بعد ذلك لتدريس فقه القرآن والسنة بجامعة فؤاد الأول - القاهرة الآن - وفي سنة ١٩٥٠م عين مراقباً عاماً لمراقبة البحوث والثقافة الإسلامية، وفي سنة ١٩٥٧م عين مستشاراً للمؤتمر الإسلامي وعضواً في اللجنة العليا للعلاقات الثقافية الخارجية وعضواً في مجلس الإذاعة الأعلى وغير ذلك من المناصب.

وبعد تدرجه في هاتيك المناصب الكثيرة، تقلد مشيخة الأزهر الشريف في ٢١ أكتوبر سنة ١٩٥٨م ، وظل الإمام شلتوت شيخاً للأزهر إلى أن توفاه الله .

جهوده الإصلاحية

لقد قام فضيلة الإمام بالعديد من الجهود الإصلاحية في شتى مجالات الحياة ، فعندما تقدم الإمام المراغي شيخ الأزهر آنذاك بمذكراته الإصلاحية إلى أولياء الأمور ، كان الشيخ شلتوت أول المؤيدين له من الأزهريين ، وتتضمن المذكرة إعادة تنظيم الأزهر على ضوء ما جاء فيها من مقترحات ، وكتب الشيخ شلتوت عدة مقالات في جريدة السياسة اليومية يطالب فيها بتأييد هذه المذكرة والعمل على تنفيذها، ولم يستجب القصر الملكي في ذلك الوقت إلى هذه المطالب، ورد المذكرة مما دعا الشيخ المراغي إلى الاستقالة من منصبه.

وعين الشيخ محمد الأحمدى الظواهري شيخاً للأزهر خلفاً له ،
ومع أنه من رجال الإصلاح إلا إنه كان يرى علاج الأمور بالرفق
ومطالبة أولياء الأمور بالتفاهم معهم في تنفيذ برامج الإصلاح.

ولذلك عارضه كثير من العلماء والطلاب ، وقابل ثورتهم بالشدة ؛
فقام بفصل عدد كبير من منصبهم ، وكان الشيخ شلتوت من جملة
هؤلاء ، وظن الكثير أن الشيخ الظواهري يرفض الإصلاح.

وفي هذا العام قامت الثورة الشعبية المصرية بزعامة سعد
زغلول ، وامتدت الثورة حتى شملت جميع القرى والمدن ، وقام الشيخ
فيها بواجبه وشارك فيها بقلمه ولسانه.

وفي يوم السبت ١٧ سبتمبر ١٩٣١م تم فصل الشيخ شلتوت من
العمل فاتجه إلى العمل بالمحاماة أمام المحاكم الشرعية مع زميله
الشيخ علي عبد الرازق (وزير الأوقاف الأسبق) والكتابة في الصحف
والمجلات مطالباً بضرورة إصلاح الأزهر.

ولقد استفاد كثيراً من قيامه بالعمل في المحاماة فقد فتحت له آفاق
من الفكر الذي يتعلق بالحياة العملية للناس.

وفي شهر فبراير سنة ١٩٣٥ أعيد الشيخ شلتوت إلى عمله
بالأزهر مع إخوانه المفصولين فعين مدرسا بكلية الشريعة.

وعندما عاد الشيخ المراغي إلى مشيخة الأزهر مرة ثانية عين
الشيخ شلتوت وكيلاً لكلية الشريعة في شهر فبراير سنة ١٩٣٧م ، ثم

أختاره المجلس الأعلى للأزهر عضواً في الوفد الذي يمثل الأزهر في مؤتمر القانون الدولي المقارن بمدينة لاهاي في هولندا سنة ١٩٣٧م.

وتقدم الشيخ شلتوت ببحثه القيم (المسؤولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية) وقد نال هذا البحث استحساناً و إعجاب أعضاء المؤتمر. وقرر المؤتمر بناء على هذا البحث:

١- اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر التشريع العام الحديث.

٢- اعتبار الشريعة الإسلامية صالحة للتطور وقائمة بذاتها وليست مأخوذة من غيرها.

٣- تسجيل البحث في سجل المؤتمر باللغة العربية واعتباره من الأبحاث التي تدخر للرجوع إليها.

٤- جعل اللغة العربية إحدى اللغات المستعملة في المؤتمر في دورته المقبلة.

٥- أن يدعى إلى المؤتمر المقبل أكبر عدد ممكن من علماء الشريعة الإسلامية من مختلف المذاهب والأقاليم.

ونظراً لما عرف عنه من فكر ثاقب في الإصلاح، وفي أول اجتماع للجنة كبار العلماء بعد تعيينه عضواً فيها تقدم باقتراح يطلب فيه ما يلي:

١- إنشاء مكتب علمي للجماعة تكون مهمته معرفة الشبهات والمزاعم التي يروج لها أعداء الإسلام والرد عليها.

٢- بحث المعاملات التي جددت في المجتمعات الإسلامية.

٣- وضع مؤلف علمي يحتوي على بيان ما في كتب التفسير المتداولة من الإسرائيليات على التفسير، وأخذها الناس على أنها من معاني القرآن التي لا يدل على صحتها نقل ولا عقل، وكذلك تنقية كتب الدين من البدع والخرافات .

وقد استجيب لطلبه وألفت لجنة برئاسة الشيخ عبدالمجيد سليم وعضوية الشيخ شلتوت.

ولقد تابع الشيخ شلتوت اقتراحه بالمطالبة بإنشاء مجمع البحوث الإسلامية وتم إنشاء المجمع في عهد مشيخته سنة ١٩٦١م.

ومن أبرز الأعمال التي قام بها أنه عمل على توحيد الصف الإسلامي، فكان من كبار المؤسسين لدار التقريب بين المذاهب الإسلامية التي قامت لتحقيق الأخوة الإسلامية وإزالة الجفوة الموجودة بين الشيعة وأهل السنة وتوثيق الصلات بين المذاهب الإسلامية عموماً.

ومن طيب ثمرات الشيخ شلتوت كذلك أنه قام بتفسير العشرة أجزاء الأولى من القرآن الكريم تفسيراً موضوعياً ممتازاً. وفي سنة ١٩٥٧م

أيضاً عين للجامع الأزهر، وظل في منصبه حتى صدر القرار الجمهوري بتعيينه شيخاً للأزهر.

وقد كان الشيخ شلتوت يؤمن برسالة الأزهر؛ لأنها تحمل أساس رسالة الإسلام، وإيصال الدعوة الإسلامية إلى كل الناس ، وقام بتعديل المناهج في الأزهر بما يناسب عقول المخاطبين في عصره ، فقد قال في الكلمة التي ألقاها في مؤتمر الملحقين الثقافيين التي يطالب فيها بإعادة النظر في مناهج الأزهر: (إن هذا الذي نريده للأزهر هو في الواقع انقلاب ولكنه انقلاب محبب إلى النفوس الغيورة على ماضيها المتطلعة إلى مستقبلها، انقلاب يصل بالعقلية الأزهرية إلى الفكر الأصيل، وهو في الوقت نفسه يربط العقلية الأزهرية أو الفكرة الإسلامية الصحيحة بالحياة الواقعية التي يعيش العالم فيها اليوم).

قضى الشيخ المجدد العلامة الكبير شيخ الأزهر الإمام محمود شلتوت حياته في الدعوة للعقل والعلم باعتبار الإسلام ديناً للتفكير لا التقليد . والتجديد لا الجمود والتخلف حتي إنه قال إن "الإسلام دين الفكر ودين العقل ودين العلم، ورسول الإسلام - صلى الله عليه وسلم- لم يقدم حجة علي رسالته إلا ما كان طريقها العقل والنظر والتفكير".

فهو يتميز بمدرسة فكرية خاصة تقوم علي أساس الإحياء والتجديد، ورفض الجمود والتقليد، كما تتميز مدرسته بالوسطية الإسلامية القائمة علي أساس الفطرة، وبالعقلانية المؤمنة التي آتت بين العقل والنقل وبين الحكمة والشرعية.

ودليل علي أنه كان يتتبع روح التراث ومقاصده، وأن علمه
بعلوم اللغة وأصول الفقه مكنه من بناء هذا الرأي الذي يشهد
للإسلام بالموضوعية والإنصاف،

إن الإمام شلتوت كان شخصية مؤسسية أثرت في نفوس
أزهرها ومصرها وفي محيط عالمها الإسلامي، حيث تصدى للعديد
من القضايا المجتمعية، علي رأسها قضايا المرأة والتقريب بين
المذاهب والتجديد، وتطوير الأزهر، فكان ذا عقلية تتفق مع عالم
المقاصد فكان شخصية مقاصدية تتصدي لقضايا تتعلق بالأمة
وبالزمن بفكر يحمل رسالة الإسلام في منظومته العقديّة
والتشريعية والأخلاقية والحضارية .

كما أن دعوته كانت دعوة لإعمال العقل والنظر، والشيخ
يقول: "إن من ينظر للقرآن الكريم يجده تناول قضايا كونية ربما
تفوق علي الآيات التي تحدثت عن قضايا التشريع" .

فأكد أن القرآن دين للعقل والفكر وليس للجمود والاتباع بلا
إعمال للعقل؛ لذلك أضفي القرآن في حديثه عن أعمال الفكر كل
تقدير للعقل.

وبذلك خرج الشيخ شلتوت من مسألة أهمية الفكر والعقل بأن
"المسلم ينبغي أن يتربي تربية استقلالية ترفض الإمعية وتتأبى
علي التقليد الأعمى لقوله - صلي الله عليه وسلم - : "لا تكونوا إمعة
تقولون إن أحسن الناس أحسنًا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا
أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا"،
وهكذا غرس هذا الفكر في ناشئة الأزهر الذي هو بفكر علمائه
وليس بمبائيه.

كما حمل الشيخ شلتوت علي المقلدين الرافضين للتجديد، واعتبرهم سبباً فيما جري علي المسلمين من تخلف، ورأي أن من لا يتبعون التجديد يعطلون العقل، وأن التقليد هو الذي أدى إلي اتهام الإسلام بالتخلف، وأكد أن التجديد يعني وصل ما انقطع في الدين وإحياء تعاليمه.

شهرته العلمية :

إذا كانت حياة عظماء الرجال تقاس بمقدار كفاحهم ونضالهم من أجل بلوغ المثل العليا، والقيم الفاضلة للمجتمع المثالي فإن فضيلة الشيخ محمود شلتوت أحد هؤلاء الذين قطعوا في هذا الطريق شوطاً طويلاً نفع به الإسلام والمسلمين.

فقد توسع في كثير من مجالات العلم وفروعه.. توسع في دراسة الفقه، حتى أصبح فقيهاً من أكبر فقهاء عصره، واسع الأفق قوي الحجة، بصيراً بالأحكام الشرعية الملائمة لحاجات الناس، ومقتضيات العصر، سائراً بها في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. كما أعتنى بتفسير القرآن الكريم وتدبر أسرارہ... ودرس أحوال مجتمعه حتى استطاع أن يتعرف علي أمراض المجتمع، ووسائل علاجها فحارب التقليد والجمود والعصبية المذهبية التي جعلت من المذاهب أدياناً، وفرقت بين المسلمين ونادى بمبدأ الاجتهاد، وفتح بابه، وندد بفكرة سد باب الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، واعتبره حداً للعقول، وتعطيلاً لكتاب الله، ومجافاةً لنصوصه الداعية إلى البحث والنظر.

وقد أمتاز الشيخ شلتوت بثقافة موسوعية رحبة الآفاق ، وحظى بمكانة علمية فريدة في عصره فكان إماما ممتازا في شخصيته، ممتازا في خلقه، ممتازا في فطرته الطبيعية، فاحتل مكانة سامية في فقه الشريعة الإسلامية أتاحت له أن يكون المرجع الأكبر في عصره لطلاب المعرفة في كل ما يتعلق بمشكلات العصر الحديث وموقف الإسلام منها وقد أعانه على بلوغ هذه المنزلة:

١- مواهبه الشخصية حيث كان يتمتع بذكاء حاد وذاكرة قوية وحب للبحث والقراءة والاستيعاب، وبصيرة ملهمة في فقه ما يستوعبه من دراسات.

٢- تأثر تأثرا كبيرا بالفقيهين المجتهدين ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية ، ثم تأثر بالإمامين الكبيرين جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده اللذان كانا يقودان التيار الاصلاحى آنذاك، ثم تأثر بعلاقته القوية وصداقته الشخصية للباحثين الكبيرين الإمام المراغى والإمام عبدالمجيد سليم، ولكنه لم يقلد واحدا منهم في آرائه، وإنما كان تأثيرهم فيه دعوته لأن يطلق لعقله العنان في البحث والدراسة دون تأثره بمذهب من المذاهب أو طائفة من الطوائف، فإن التبس عليه أمر عاد إلى الكتاب والسنة وكبار الباحثين في شتى الاتجاهات.

٣- تعمق في القراءة والبحث والدراسة ما شاء الله أن يتعمق فدرس آراء أهل السنة والمعتزلة والأشاعرة، كما درس المذاهب الأربعة، ومذهب الشيعة الإمامية والشيعة الزيدية، ومذهب الظاهرية،

ومذهب الإباضية وأعانه على ذلك بصيرته النفاذة وتفكيره اللامح من إدراك الحقيقة في ثنائيا هذه المذاهب وغيرها.

٤- أفادته تجاربه العديدة ومباشرته لكثير من الأعمال الثقافية الهامة في الإذاعة والمؤتمر الإسلامي ووزارة الشؤون الاجتماعية وغيرها، أفاده كل ذلك في الاتصال بالمشكلات الاجتماعية العديدة والبحث عن حلول مناسبة لها في نطاق الشريعة الإسلامية، كما أفادته رحلاته العديدة في أنحاء العالم وصلاته بكبار زعماء العالم الإسلامي وكبار المستشرقين في معرفة كثير من الحقائق وألوان المعارف العديدة التي لم تتح لغيره من الشرعيين.

لكل ما سبق كان الشيخ شلتوت - رحمه الله - صاحب بصيرة ملهمة في فقه القرآن الكريم والحديث الشريف ، وبهذا بلغ مبلغ الاجتهاد فيما يصدره من آراء أو يكتبه من فتاوى أو يؤلفه من مصنفات، وكان جريئا فيما يعتقده حقا، فإذا بحث موضوعا ألم بأطرافه وأقوال السلف فيه، ووازن بينها، فإذا أطمأن إلى رأي اقتنع به عقله وأطمأن إليه قلبه أعلنه على الملأ مؤيدا بالأدلة والبراهين، غير ملتفت إلى مخالفة المخالفين أو جمود المقلدين حتى ولو خالفه الجميع، وبهذا كانت له آراؤه الاجتهادية في شتى المسائل الاجتهادية ، ولهذا كانت شهرته العلمية واسعة وتجاوزت حدود بلده برز ذلك في الدوريات والبحوث العلمية المعمقة وتحقيقاته الدقيقة .

إطالة على مؤلفات الشيخ شلتوت:

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت مؤلفات وبحوث علمية كبيرة
القدر عظمة النفع ، وتحظى هذه المؤلفات بالانتشار الواسع في شتى
أنحاء العالم العربي والإسلامي ، ولا تزال حتى الآن يعاد طباعتها
وتوزيعها في فترات زمنية متقاربة ، ومن أهمها:

١- القرآن والمرأة.

٢- القرآن والقتال.

٣- مقارنة المذاهب الفقهية .

٤- يسألون.

٥- المسؤولية المدنية والجناية في الشريعة الإسلامية.

٦- فقه القرآن والسنة.

٧- تنظيم النسل.

٨- منهج القرآن في بناء المجتمع.

٩- الوصايا العشر.

١٠- الإسلام والتكافل الاجتماعي.

١١ - أحاديث الصباح في الإذاعة.

وقد جمعت هذه المؤلفات والبحوث في الكتب الجامعة الآتية:

١ - الإسلام عقيدة وشريعة.

٢ - الفتاوى.

٣ - من توجيهات الإسلام.

٤ - إلى القرآن الكريم جمعه وقدم له ابنه الأكبر - هادي محمود شلتوت - رحمه الله -.

٥ - تفسير القرآن الكريم (الأجزاء العشرة الأولى).

وقد تميز تفسيره للعشرة أجزاء الأولى من القرآن الكريم:

أولاً: بتنظيم وترتيب المعلومات والتبويب والفهرسة للموضوعات فكان يذكر إجمالاً في مستهل كل سورة: الموضوعات الرئيسية والمحاور التي تدور عليها، ثم يبين مقاصد السورة ثم يبين طريقته في بيان الموضوعات وأسلوبه في البحث.

ثانياً: خلو تفسيره من الإسرائيليات والموضوعات والمرويات الضعيفة.

ثالثاً: تجنب في تفسيره أمرين يجب تنزيه التفسير عنهما:

الأمر الأول: التفسير على وفق آراء المذاهب والفرق.

الأمر الثاني: التفسير على مقتضى النظريات العلمية.

ف نجد تفسيره خالياً من التأثير بالعصبية المذهبية أو الطائفية، وإنما كان رائده الدليل ووجهته الحق وطريقته الاستقامة على منهج القرآن الذي يأمرنا بالوحدة، ولم يكلف أحداً باتباع مذهب معين من الناس إلا إذا وافق الحق والدليل من القرآن والسنة.

كما أنه لا ينبغي أن ننساق إلى النظريات العلمية والتأثر بها، والتي قد تتغير من وقت لآخر وقد تكون صحيحة وغير صحيحة.

رابعاً: يتميز تفسير الشيخ شلتوت أيضاً بإبراز خصائص النظم القرآني.

خامساً: يتميز بتوضيح وبيان أوجه الهداية والموعظة في القرآن الكريم.

وفاته

مرض الإمام ولكن المرض لم يؤثر على روحه المعنوية ، ولا ذكائه الوقاد ، ولم يعقه عن أداء عمله، ثم استدعى المرض أخيراً إجراء عملية جراحية تمت بنجاح واستبشر اصداقؤه ومحبوه خيراً، ولكنها كانت خفقة السراج وصحوة الموت، فإن أمر الله نافذ لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولكل أجل كتاب، فخرجت روحه إلى بارئها

في مساء ليلة الجمعة (ليلة الإسراء والمعراج) وأدى المصلون عليه صلاة الجنازة في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٨٣هـ الموافق ١٣ من ديسمبر سنة ١٩٦٣ م .

وكان الشيخ قد أتم سبعين عاما في خدمة الإسلام لتودع الأمة الإسلامية عظيما من عظمائها قلما يجود الزمان بمثله .

وموت أعلام الفكر موت لأجسامهم ، ومن الناس من يدخل بوفاته حياة الذكر ، وذلك ما كان للشيخ شلتوت فلقد أقبل الناس على آثاره يتدارسونها وذلك لما حوته من علم غزير وتفكير وابتكار ودعوة إلى التجديد ، كما ترجمت جامعة كولجيت بأمريكا مؤلفاته إلى الإنجليزية والفرنسية .

لقد كانت حياته حافلة بالأبحاث العلمية الدقيقة والتأليف القيمة والأعمال الجليلة.

رحم الله الشيخ "محمد محمود شلتوت" وأسكنه فسيح جناته.

المحور الثاني :

منهجه وأفكاره في التفسير:

الشيخ شلتوت إمام عالم فسر القرآن الكريم فجلى هدايات القرآن في جوانب الحياة المختلفة، وأظهر كثيرا من نواحي الإعجاز البياني والتشريعي والعقدي والأخلاقي؛ وذلك في تبصر ووعي وأدراك لثقافة العصر وقضاياه المتجددة. حيث أدرك أن المسلم لا يمكن أن يعيش بعيدا عن حقائق العصر ومتغيرات الحياة ومتطلباتها، فربط التفسير بالواقع وحارب الجمود والتقليد وقضى على ركود العقل واستغلال الدين لمصلحة فئة من الناس ودعا إلى الائتلاف والوحدة.

ووضح الشيخ شلتوت منهجه فقال أثناء تفسيره لسورة البقرة:

"وقد سلكنا بهذا الصنيع سبيلا غير التي ألفها الناس في التفسير لنضع بين يدي القارئ الموضوعات التي عرضت لها السورة فيما قبل هذه الآية والموضوعات التي عرضت لها فيما بعدها في سلك واحد يجمع بين حبات كل جانب ويعطى للنظر إليه صورة كاملة لجميع ما احتوت عليه تلك السورة الكريمة وتعينه على الرجوع بكل مسألة فيها إلى نوعها وغرضها التي ترتبط فيها مع زميلاتها، ولعل القراء يلمسون من هذا الصنيع ذلك المعنى الذي يوحى به اهتمام السورة في الجانب الأول من جانبها بتتبع أنباء بني إسرائيل وتقصيصها على النحو العجيب، والمؤذن بأن القرآن الكريم صادر من العليم الحكيم، كما يوحى باهتمام السورة في جانبها الآخر بعظمة هذا الدين وكونه منهجا

واضحاً وصراطاً مستقيماً يهدي للتي هي أقوم، ويرسم للناس طريق
السعادة في الدنيا والآخرة، ويهيئ للأمة حياة هائلة مستقرة ونظاماً
قوياً يعيشون في ظله آمنين مطمئنين^(١) .

وبذلك يتضح لنا أن الشيخ شلتوت سلك منهج التفسير الموضوعي
وهو تفسير القرآن الكريم بجمع الآيات من السور المختلفة التي تحدثت
عن موضوع واحد ودراستها دراسة موضوعية مرتبطة بعضها ببعض
مستخرجاً منها الأحكام والعبر والعظات .

(١) تفسير الشيخ شلتوت ص ٦٦ .

المحور الثالث :

الخصائص العلمية المميزة لمنهج الشيخ شلتوت في تفسيره :

إن اللغة العربية ما حفظت إلا بحفظ القرآن الكريم التي نزل بها وساقها في أسلوب غاية في الروعة والبلاغة، والبناء والسياق، والنظم البارع، لقد ماجت سطور به بأروع أساليب البيان، وكان بذلك كتاب العربية الأكبر، وكانت وستظل اللغة العربية والوقوف على خصائصها، وإدراك أسرارها وسيلة ضرورية لفهمه، وأساساً لتحقيق المقصد الذي يهدف إليه المفسر من وراء دراسته للنص القرآني .

وقد كان المنهج الذي سلكه الشيخ في تفسيره يعني بإبراز نواحي الإعجاز في القرآن الكريم في قالب اللغة العربية ، وبيان هداياته القويمة التي تكشف عن عظمة هذا الكتاب الكريم وسر خلوده ، وأنه اشتمل على الأحكام التي تفي بحاجات البشر ، وتصلح بها الحياة البشرية في كل زمان ومكان .

من أبرز خصائص منهج الشيخ شلتوت في التفسير :

-الاعتماد على لغة القرآن ودلالاته .

إن فهم المعاني واستنباط الأحكام يأتي على الوجه الصحيح إذا روعي فيه مقتضى الأساليب في اللغة العربية ، ومعرفة طرق الدلالة التي تدل عليها ألفاظها ومفرداتها وتركيبها ، ولهذا غنى العلماء باستقراء الأساليب العربية وعباراتها ومفرداتها، ووضعوا قواعد

وضوابط يتوصل بمراعاتها إلى فهم الأحكام من النصوص الشرعية فهما
صحيحاً

وكلام الله - تعالى - الدال على مراده - سبحانه - من العباد يفهم عن
طريق اللغة التي نزل بها وهي لسان العرب. قَالَ قَسَالِي: (نَزَلَ بِهِ الرَّجُلُ
الْأَمِينُ ﴿٣٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٣٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَفُوا مُبِينٍ
﴿٣٥﴾) [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥]

الدلالة في اللغة:

الدلالة مصدر الفعل دلّ ، وهو من مادة (دلل) التي تدل على الإرشاد
إلى الشيء والتعريف به .

والدليل في اللغة : ما يُسْتَدَلُّ به . والدليل: الدالُّ . وقد دلَّه على
الطريق يَدُلُّه دَلَالَةً ودَلِيلَةً ودُلُولَةً ، والفتح أعلى. (١)

ومن ذلك ، دله عليه يدلّه على الطريق ، أي سدده إليه .

وفي التهذيب دللت بهذا الطريق دلالة: عرفته ، ثم إن المراد
بالتسديد ، إراءة الطريق. (٢)

ومن المجاز: الدال على الخير كفاعله ، ودله على الطريق
المستقيم. (١)

(١) لسان العرب لابن منظور مادة دلل.

(٢) تاج العروس للزبيدي ج ٢٨ ص ٤٩٨، ٤٩٧ - ط الكويت .

ومعناه : الهادي إلى أي شيء حسي أو معنوي، خير أو شر.

فأصل الدلالة في اللغة: "إبادة الشيء بإمارة تتعلمها"^(٢)، ومن ثم هي "ما يتوصل به إلى معرفة الشيء ، كدلالة الألفاظ على المعنى ، ودلالة الإشارات والرموز..."^(٣).

الدلالة في الاصطلاح:

عرفها الشريف الجرجاني حيث قال : " هي كون الشيء بحالة ، يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال ، والثاني هو المدلول".^(٤)

وأما في اصطلاح الأصوليين فهو: ما يستدل بالنظر الصحيح فيه على حكم شرعي عملي على سبيل القطع أو الظن.^(٥)

طريق دلالة النص

إن النصوص بأشكالها المتنوعة لها دلالاتها المتباعدة، والنص القرآني عمدة النصوص

(١) أساس البلاغة للزمخشري ص ١٣٤ - ط دار المعرفة.

(٢) ينظر مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكريا ص ٣٣٠ - ط ١ / دار إحياء التراث العربي ٥١٤٢٢.

(٣) ينظر المفردات للراغب الأصفهاني ص ١٧١ - ت/محمد سيد كيلاني - دار المعرفة - بيروت.

(٤) كتاب التعريفات ص ١١٦.

(٥) أصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاف ص ٣٤.

يملك من طاقات الدلالة مالا ينفد؛ لأنه كلام الله-عز وجل-، ومعجزته التي أيد بها نبيه محمد- صلى الله عليه وسلم- فالنص الشرعي ، قد يدل على معان متعددة بطرق متعددة من طرق الدلالة، وليست دلالاته قاصرة على ما يفهم من عبارته وحروفه ، بل هو قد يدل أيضا على معان تفهم من إشارته ومن دلالاته ومن اقتضائه، وكل ما يفهم منه من المعاني بأي طريق من هذه الطرق يكون من مدلولات النص ويكون النص دليلا وحجة عليه، ويجب العمل به.

ولهذا قال الأصوليون: يجب العمل بما تدل عليه عبارة النص وما تدل عليه روحه ومعقوله، وهذه الطرق بعضها أقوى دلالة من بعض، ويظهر أثر هذا التفاوت عند التعارض.

والدلالة أنواع:

١- عبارة النص:

المراد بعبارة النص صيغته المكونة من مفرداته وجمله. وما تدل عليه من المعنى الذي يتبادر فهمه إلى الذهن من صيغته، ويكون هو المقصود من سياقه، فدلالة العبارة: هي دلالة الصيغة على المعنى المتبادر فهمه منها، المقصود من سياقها. سواء أكان مقصودا من سياقها أصالة أو مقصودا تبعا.

٢- إشارة النص:

هو المعنى الذي لا يتبادر فهمه من ألفاظه ولا يقصد من سياقه ولكنه معنى لارم للمعنى المتبادر من ألفاظه، فهو مدلول اللفظ بطريق

الالتزام. وقد يكون وجه التلازم ظاهراً، وقد يكون خفياً ، ولهذا قالوا: إن ما يشير عليه النص قد يحتاج فهمه إلى دقة نظر ومزيد تفكير، وقد يفهم بأدنى تأمل ، حسب ظهور وجه التلازم وخفائه.

٣- ظاهر النص:

وهو الدلالة على معنى متبادر من اللفظ وليس مقصوداً أصلها بسوق الكلام مع احتمال التفسير والتأويل^(١).

اعتماده على دلالة السياق وظاهر النص :

السياق لغة: من السوق يقال : انسأقت الإبل ، وتسأوقت إذا تتابعت ، والمساوقة المتابعة ، كأن بعضها يسوق بعضاً. ويطلق الاتساق أيضاً على الانتظام ، يقال له : العقد من الجواهر والخرز ونحوهما ، سمي بذلك لتنظيمه الجواهر والخرز بعضه إلى بعض في نظام واحد ، واتساق واحد^(٢).

وسياق الكلام : تتابعه ، وأسلوبه الذي يجري عليه^(٣).

فمعنى السياق في اللغة يدور حول التتابع والتوالي والجمع والاتصال والتسلسل.

^١ ينظر أصول الفقه للشيخ عبدالوهاب ص ١٤٣: ١٤٠، وأصول الفقه للشيخ

محمد أبوزهرة ص ١١٣: ١١٠- دار الفكر العربي-القاهرة.

^٢ ينظر لسان العرب مادة : سوق ، ونظم . ط- دار صادر بيروت.

^٣ أساس البلاغة ص ٣٣٠.

وسياق الكلام من تواليه وتتابعه وتسلسله.

السياق في الاصطلاح:

لم يكن هناك تعريف للسياق في الاصطلاح ، إلا أن أهل البيان ذكروا تعريف النظم في اصطلاحهم على أنه يقصد به نظم السياق ، فقال الجرجاني : " النظم تأخي معاني النحو فيما بين الكلم ، على حسب الأغراض التي يصاغ بها الكلام " (١)

وقيل : " الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل " (٢)

إن هذا التأخي والترتيب الذي بني عليه السياق ، قد اتفق العلماء على تعظيم شأنه وتفخيم قدره ، والتنويه بذكره ، إذ يتعلق بأشرف الكلام ، كلام الله - عز وجل - .

ومما يدل على أهمية السياق عند البلاغيين هو قولهم : " وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب ، وانحطاطه بعدم مطابقته له (٣) " . والمراد بالاعتبار المناسب ما يستدعيه المقام والسياق .

^١ دلائل الإعجاز ص ٨٨ ، والإيضاح للجرجاني ص ٨١ .

^٢ التعريفات ص ٣١٠ .

^٣ شروح التلخيص ج ١ ص ١٣١ طبعة دار الإرشاد الإسلامي بيروت .

ودلالة السياق احدى دلالات اللغة العربية ، وهي دلالة اقتران المفردات والجمل والتراكيب ، وارتباط بعضها ببعض ، وتعرف بالقرائن والأحوال والمناسبات والمعهودات ، فهي مرتبطة باللغة العربية ارتباطاً وثيقاً ، إذ لا يفهم الكلام عند العرب إلا ضمن سياقه ، والقرآن الكريم نزل بلغة العرب ، وقد تحدى الله - عزوجل - به العرب قاطبة فأعجزهم بفصاحته ، وحسن بياته وترتيبه ، وبديع نظمه ، أرأيت قوله تعالى :
ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ [الدخان: ٤٩]

فبسياق الكلام عرفنا أنه يعني الحقير الذليل ، لا العزيز الكريم .

وانظر إلى قوله تعالى (**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ نَارًا [الكهف: ٢٩]**)

فلولا السياق لما علمنا أن المراد هو الزجر والتوبيخ ، لا الأمر والتخيير .

والنبي - صلى الله عليه وسلم - أفصح العرب وأعلمهم بدلالات ألفاظ العربية .

يقول الإمام الشافعي - رحمه الله - : " ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي ،

ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه^(١).

وقد ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- اعتبار هذه الدلالة أي السياق ، واستخدامه لها مما يدل على أهميتها وأصالتها، فمن ذلك:

قوله -صلى الله عليه وسلم- لعائشة -رضي الله عنها- عندما سألته عن قوله -عز وجل-: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ ﴿﴾ المؤمنون: ٦٠.

فقالت: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ فقال -صلى الله عليه وسلم-: "لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصلون، ويصومون، ويتصدقون، وهم يخافون ألا يقبل منهم، أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْغَيْرَاتِ وَهُمْ هَآ سَاقُونَ ﴿﴾"^(٢) [المؤمنون: ٦١]

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- استدل على هذا المعنى باستخدام دلالة السياق ، حيث استدل بلحاق الآية على المعنى المراد.

إذ لو نظر إلى الآية الكريمة بمفردها، بمعزل عن سياقها، لتحتمل معنيين متضادين:

^١ الرسالة ص ٤٢.

^٢ رواه الترمذي في الجامع -ج ٢٣٦/٥- ٣١٧٥- في أبواب تفسير القرآن- باب "ومن سورة المؤمنين"، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٢)، ورواه الحاكم في المستدرک وصححه- ج ٣٩٣/٢، ٣٩٤.

الأول: ما فسرهما به النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو أن المراد بها الذين يعملون الطاعات وهم خائفون ألا يقبل منهم لتقصيرهم.

والثاني: ما فهمته السيدة عائشة -رضي الله عنها- وهو أن المراد منها الذين يعملون المعاصي ، وهم خائفون من لقاء الله -عز وجل- .

لكن بالنظر إلى سياقها يترجح أحد المعنيين ، وهذا ما فعله النبي -صلى الله عليه وسلم- باستخدامه دلالة السياق.

فهذا السياق يعنى بالنظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم، آخذا بعين الاعتبار ما قبلها وما بعدها في الجملة، وقد تتسع دائرته ليشمل الجمل السابقة واللاحقة، بل والنص كله ، إذ السياق اللغوي لا ينظر إلى الكلمات بوصفها وحدات منعزلة ، بل إن الكلمة يتحد معناها بعلاقاتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية .

والقرآن الكريم اشتمل على خواص وطرق مختلفة للدلالة ، إذ بها يسترشد إلى بيان المجل ، وتعيين المحتمل ، ويستدل بها على تخصيص العام ، وتقييد المطلق ، وما إلى ذلك.

يفتقر الواقف على تمام المراد من كلام الله -عز وجل- إلى معرفة هذا العلم.

إن كل مفسر للقرآن الكريم يجب أن يضع في الاعتبار ويراعى سياق الآيات؛ لأن الاهتمام بالسياق يوصل إلى المعنى الصحيح

المقصود ، وأيضا يظهر جمال القرآن في نظمه ، وإعجازه في بياته .

وحين يعرض المفسر عن تتبع دلالات السياق ، أو يغفل ، أو يتمحل وجها بعيدا عن السياق ؛ فإنه يجعل الكلام متنافرا مع ما قبله أو ما بعده ، منقطعة أجزاءه ، بعيدة علاقاته ، وذلك ممتنع في كتاب الله عز وجل لذهاب جمال القرآن وإعجازه ، وانتظام جملة وآياته .

ولذلك فقد اهتم كثير من العلماء والفقهاء بدلالة السياق ، أو ما يسمى بسياق النظم ، وهي دلالة عظيمة الأثر ، إذ فيها كل النفع لضبط كلام الشارع ، ووضعه موضعه .

ولذا قد ركز الشيخ شلتوت في معظم تفسيره وآرائه على مثل هذه الدلالة ، إذ قد يكون في الآية احتمالات وتأويلات ظنية يترجح بعضها على الآخر بدلالة السياق ، فهي ظاهر لغوي يخصص عموم اللفظ وهي من أهم البراهين على مراد المتكلم ، حيث قال في هذا المعنى :

"إنما نأخذ القرآن بمعنى آياته الذي تعطيه بحسب سوقها وبحسب اللغة التي نزل بها وهي لغة العرب وشواهدا" (١) .

ومن ثم كانت نظرة الشيخ شلتوت للسياق والمقام يدل على فهمه الواعي بمقاصد الآيات وأغراضها ، ويدل على فقهه بالمناسبات التي تربط بين الآيات القرآنية بعضها ببعض ، وكذلك المناسبات التي بين

^١ الفتاوى لإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ص ٤٢٥ .

سور القرآن ، وأسباب النزول ، وكل ذلك يؤدي إلى الوصول للمعنى الصحيح ، ويقربنا إلى كشف بعض من أسرار كتاب الله .

من أمثلة ذلك عند الشيخ شلتوت في تفسيره:

نراه عندما يعرض لمناهج الناس في فهم القصص القرآني ، وأنه شأن مهم يجدر بنا الوقوف عنده ؛ وذلك لما له من الأهمية العظمى في تربية النفس وترويضها ، وتقبل أحكام الشريعة ، وما فيها من العظة والاعتبار في كل مجال من مجالات الحياة. يذكر بأن كثيراً من المؤولين للقصص القرآني ، قد صرف الكلام فيه عن مدلوله اللغوي إلى معان أخرى لا يدعو إليه ما ذكره من التأويل ، وأن فهم القصة القرآنية إنما يكون من خلال اللغة والسياق.

فيذكر تحت عنوان مناهج الناس في فهم القصص القرآني رأي كلاً من الشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد رشيد رضا، ثم يعلق على هذين الرأيين.

رأي الشيخ محمد عبده في قصة البقرة:

وقد خرج الأستاذ الإمام محمد عبده هذه القصة على إنها نوع من التشريع الذي كان موجوداً في زمن بني إسرائيل لغرض الوصول إلى معرفة القاتل المجهول في مثل هذه الحادثة ، وشدد أزره في ذلك الشيخ رشيد رضا ، حيث ساق نصوص التوراة الواردة في هذا التشريع الذي يشير إليه.

قال الأستاذ الإمام :

" يَقُولُ أَهْلُ الشُّبُهَاتِ فِي الْقُرْآنِ : إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يَعْرِفُونَ هَذِهِ الْقِصَّةَ ؛ إِذْ لَا وَجُودَ لَهَا فِي التَّوْرَةِ ، فَمِنْ أَيْنَ جَاءَ بِهَا الْقُرْآنُ ؟ وَنَقُولُ : إِنَّ الْقُرْآنَ جَاءَ بِهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الَّذِي يَقُولُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمُتَأَخِّرِينَ : إِنَّهُمْ نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ، وَإِنَّهُمْ لَمْ يُؤْتُوا إِلَّا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ ، عَلَى أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ مَتَّصُوصٌ فِي التَّوْرَةِ ، وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا قُتِلَ قَتِيلٌ لَمْ يُعْرِفْ قَاتِلُهُ ، فَالْوَاجِبُ أَنْ تُذَبِّحَ بَقَرَةً غَيْرَ ذُلُولٍ فِي وَادٍ دَائِمِ السَّيْلَانِ ، وَيَغْسِلَ جَمِيعَ شُيُوخِ الْمَدِينَةِ الْقَرِيبَةِ مِنَ الْمَقْتُلِ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْعَجَلَةِ الَّتِي كُسِرَ عُنُقُهَا فِي الْوَادِي ، ثُمَّ يَقُولُونَ : إِنَّ أَيْدِيَنَا لَمْ تَسْفِكْ هَذَا الدَّمَ ، اغْفِرْ لَشُعْبِكَ إِسْرَائِيلَ ، وَيَتِمُّونَ دَعَوَاتٍ يَبْزَأُ بِهَا مَنْ يَدْخُلُ فِي هَذَا الْعَمَلِ مِنْ دَمِ الْقَتِيلِ ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ الْقَاتِلُ ، وَيُرَادُ بِذَلِكَ حَقُّ الدَّمَاءِ ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْحُكْمُ هُوَ مِنْ بَقَايَا تِلْكَ الْقِصَّةِ ، أَوْ كَانَتْ هِيَ السَّبَبُ فِيهِ ^(١) .

رأي الشيخ رشيد رضا:

" إِنَّ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْأُسْتَاذُ مِنْ حُكْمِ التَّوْرَةِ الْمُتَعَلِّقِ بِقَتْلِ الْبَقَرَةِ هُوَ فِي أَوَّلِ الْفَصْلِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ سِفْرِ تَثْنِيَةِ الْإِسْتِرَاعِ ... " وقد النص كاملاً ثم قال:

" وَالظَّاهِرُ مِمَّا قَدَّمْنَا أَنَّ ذَلِكَ الْعَمَلَ كَانَ وَسِيلَةً عِنْدَهُمْ لِلْفَصْلِ فِي الدَّمَاءِ عِنْدَ التَّنَازُعِ فِي الْقَاتِلِ إِذَا وَجِدَ الْقَتِيلُ قُرْبَ بَلَدٍ وَلَمْ يُعْرِفْ قَاتِلُهُ ؛ لِيُعْرِفَ الْجَانِي مِنْ غَيْرِهِ ، فَمَنْ غَسَلَ يَدَهُ وَقَعَلَ مَا رُسِمَ لِذَلِكَ فِي الشَّرِيعَةِ بَرِيءٌ مِنَ الدَّمِ ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ثَبَّتَتْ عَلَيْهِ الْجَنَايَةُ . وَمَعْنَى

^١ تفسير المنار

إِخْيَاءِ الْمَوْتَى - عَلَى هَذَا - حِفْظُ الدِّمَاءِ الَّتِي كَانَتْ عُرْضَةً لِأَنْ تُسْفَكَ ،
بِسَبَبِ الْخِلَافِ فِي قَتْلِ تِلْكَ النَّفْسِ ، أَيْ يُخْيِيهَا بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ ، وَهَذَا
الْإِخْيَاءُ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ - تَعَالَى - : (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ
جَمِيعًا) (٥ : ٣٢) وَقَوْلِهِ : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) (٢ : ١٧٩)
فَالْإِخْيَاءُ هُنَا مَعْنَاهُ السِّتْبَاءُ كَمَا هُوَ الْمَعْنَى فِي الْآيَتَيْنِ . ثُمَّ قَالَ :
(وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ) بِمَا يَفْصِلُ فِي الْخُصُومَاتِ ، وَيَزِيلُ مِنْ أَسْنَابِ الْفِتَنِ
وَالْعَدَاوَاتِ ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ - تَعَالَى - : (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ
بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ) (٤ : ١٠٥) ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ مِثْلُ هَذَا
التَّغْيِيرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ رُسُلِهِ ، وَلَيْسَ عِنْدِي
شَيْءٌ عَنْ شَيْخِنَا فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ ، وَلَكِنَّهُ قَالَ فِي تَعْلِيلِهَا مَا يَرْجَحُ
النُّقُولَ الْأَوَّلَ وَهُوَ (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) أَيْ تَفْقَهُونَ أَسْرَارَ الْأَحْكَامِ ، وَفَائِدَةُ
الْخُضُوعِ لِلشَّرِيعَةِ ، فَلَا تَتَوَهَّمُونَ أَنَّ مَا وَقَعَ مُخْتَصٌّ بِهَذِهِ الْوَاقِعَةِ فِي
هَذَا الْوَقْتِ ، بَلْ يَجِبُ أَنْ تَتَلَفَّظُوا أَمْرَ اللَّهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِالْقَبُولِ مِنْ غَيْرِ
تَعَنُّتٍ^(١).

ويعلق الشيخ شلتوت على هذين الرأيين بنظره الثاقب ، وقراءته
المتعمقة ، وربطه بين أسلوب السياق المعروضة فيه القصة والمدلول
اللغوي وهدايات القرآن فيقول:

"تأويل الشيخين لا تساعد عليه اللغة والسياق:

هذا صنيعهما ، وبذلك يتبين أنهما توافقا على أن الآيات مسوقة
لبیان حکم تشريعي لا لبیان حادث تاريخي ، ولكننا إذا نظرنا إلى النص

^١ تفسير المنار

في هذه الآيات وما ذيل الكلام به من قوله تعالى: (أَضْرِبُوهُ بِتَعْنِيهِ) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴿٣٠﴾

وجدنا هذا النص إن لم يمنع من الحمل على إرادة الحكم التشريعي فلا أقل من أن يبعده إبعاداً ، وذلك بأن كلمة (اضربوه) واضحة في أن يضرب المقتول ببعض البقرة المذبوحة ، وليس في الكلام إشارة تتعلق بالقاتل الخفي ، ولا إشارة إلى غسل أيدي أهل الحي من دماء البقرة ، وقوله تعالى: (أَضْرِبُوهُ بِتَعْنِيهِ) يدل على الإحياء المشبه به- وهو الإحياء في هذا المقام- إحياء حقيقي بعد موت تسلب فيه الروح ، وليس إحياء حكماً يحصل بمعرفة القاتل والاقتصاص منه حتى يكون بمثابة (ولكم في القصاص حياة) كما يريد الشيخان ، ولو كان الأمر كما يقرران لما صح تقرير إحياء الموتى للبعث والجزاء بهذا النوع من الإحياء الحكمي المجازي ، ولو أن قائلًا قال : إن الله يحيي النفوس الجاهلة بالعلم ، وكذلك يحيي الموتى من قبورهم لما كان مثل هذا التشبيه والقياس سائغاً ، وإن قوله: (ويرى آياته) لوضح في الإراءة البصرية للآيات الكونية ، لا في الإراءة العقلية للأحكام الشرعية حتى يكون من قبيل (لتحكم بين الناس بما أراك الله) وإن قوله بعد ذلك: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) ليدل على أنهم رأوا حالة مادية من شأنه أن تؤثر في النفوس ، ومن شأن القلوب أن ترق لها وأن تتجرد من القسوة والعناد عندها ، ومع ذلك لقد قسوا واشتد قسوتهم وكانت قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة ، وكل هذا لا يتفق وما يريده الشيخان من حمل الآية على المعنى التشريعي ، فهذا

الحمل تأويل منهما ، لكنه تأويل لا تساعد عليه اللغة وما هو المعهود من كلام العرب^(١).

وبهذا يرى الشيخ شلتوت أن ما ذكر في مثل قصة البقرة هو أحد مناهج الناس في فهم القصص القرآني وهو: "صرف الكلام عن مدلوله اللغوي إلى معنى آخر دون ما يدعو إليه هذا التأويل ، وصاحبه قد يحكم فيه مجرد الاستبعاد لما يؤديه الكلام من المعنى الظاهر ، وكثيراً ما يقصده بعض الباحثين دفعاً لما يثيره خصوم القرآن على القرآن " .

كما ذكر أن " هذا المنهج هو من طريقة تأويل الباطنية في القرآن الكريم عرفوه بها عن دلالاته العربية ، وفيه احتفاظ بمدلول للكلام وواقع يدل عليه ، ولكنه صرف للفظ عن معناه الوضعي إلى هذا المعنى الواقعي الذي يزعمه المؤول مدلولاً للكلام.

والرأي في هذه الطريقة أنه يجب أن يطبق عليها قاتون التأويل الذي يتلخص في أنه إذا كان التأويل لا يقضي على أصل ديني ولا يمس عقيدة ثابتة ، وهو في الوقت نفسه يحتفظ للعبارة القرآنية بواقع تعبر عنه تعبيراً صادقاً ، وكانت اللغة تسمح به ، فإنه يكون مقبولاً من الوجهتين الدينية واللغوية ، وإذا لم تسمح به اللغة فهو مرفوض من هذه الجهة ، صادر عن جهل من صاحبه بقاتون التأويل ، ومرفوض أيضاً من جهة ما يلزمه من الحكم بصدور التلبيس من الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - أما إذا كان يقضي على أصل ديني أو يمس عقيدة فإنه يكون مرفوضاً أيضاً من الوجهة الدينية^(٢).

^١ ينظر تفسير الشيخ شلتوت ص ٤٠

^٢ المرجع السابق ص ٤٠ ، ٤١ .

ويذكر بعد ذلك بأن المنهج المختار في شأن القصص القرآني خلاصته :

" الوقوف عند ما ورد في القرآن الكريم ، مع الاحتفاظ بدلالة الألفاظ اللغوية على معانيها وإفادتها لواقع هي تعبير صحيح عنه ، دون تزيد عليه بمالم يرد فيه اعتماداً على روايات لا سند لها كما صنع المفرطون ، ودون تحيف لمعانيها ، باعتبار أن الكلام تخييل لا يعبر عن واقع كما فعل المفرطون ، ودون صرف للألفاظ عن معانيها الوضعية إلى معان أخرى ، من غير صارف يمنع إجراء الكلام على ظاهره كما فعل أهل التأويل ، الذين حرفوا كثيراً من القرآن عن مواضعه ، وتنكبوا قانون العربية التي نزل بها " (١).

فهو بهذا التقرير يجعل المقام الأول للوقوف على هدايات القرآن الكريم ، والوصول به إلى المبتغى الأسمى من نزوله ، هو معرفة ألفاظه ومعانيه وتراكيبه اللغوية ، وسياقه اللغوي ، ونظمه الفريد .
أيضاً من امثلة ذلك في تفسيره ، وهو اعتماده على دلالة السياق في أغلب آرائه واختياراته .
ما ذهب إليه واختاره في أن المراد بالروح هو القرآن الكريم

في قوله تعالى من سورة الإسراء: (وَسْتَأْتُونَكَ بِالرُّوحِ قُلْ
الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْمَلِكِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾
[الإسراء: ٨٥])

^١ المرجع السابق ص ٤٤ .

حيث إنه يضع عنواناً صيغته " مختارنا في المراد بالروح
المسئول عنها في سورة الإسراء " .

ويقول : ونحن نرى أن الروح المسئول عنها في سورة
الإسراء ليست الروح التي بها حياة الإنسان ، وإنما المراد بها
القرآن الكريم نفسه ، فإن الله - سبحانه - قد سماه روحاً في
قوله تعالى : (أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ) وفي قوله :
يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴿ [النحل: ٢]

فالقرآن حياة الأرواح والعقول ، ولا ريب أن القرآن أحدث ضجة
عظيمة في نفوسهم ، وزعزعة في عقائدهم ، وأقضى عليهم مضاجعهم
، وهو كلام من جنس الكلام الذي يتخاطبون به ؛ فكان بذلك جديراً أن
يسألوا عنه وهم أرباب البلاغة ، وأساطين البيان .. ويرشد إلى أن
اللاق بالروح في هذا الموضع هو القرآن ؛ لأن الحديث قبل السؤال
وبعده كان عن القرآن قَالَ تَسْأَلُ: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾)
[الإسراء: ٨٢]

(وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِآلِذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا
يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾)

[الإسراء: ٨٦]

(قُلْ لِّیْنَ اجْتَمَعَتِ الْاِنْسُ وَالْجِنُّ عَلٰی اَنْ یَّاتُوْا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْاٰنِ لَا یَأْتُوْنَ بِمِثْلِهِ فَاِنْ کَانَ بِمَعْشَرَکُمْ فِیْ ظَهْرِکُمْ ۝۸۸)
[الإسراء: ۸۸]

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِیْ هٰذَا الْقُرْاٰنِ مِنْ کُلِّ مَثَلٍ فَاِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا یَعْقِلُوْنَ ۝۸۹) [الإسراء: ۸۹]

فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أطلق على القرآن كلمة (روح) وكانت الآيات الواردة قبل السؤال عن الروح ، والآيات الواردة بعده في وصف القرآن والحديث هو ، ولم يأتهم محمد - صلى الله عليه وسلم - معلناً أنه معلم للحقائق الكونية ، والشئون الطبيعية التي خلقها الله ، أو الأسرار الإلهية التي أودعها في خلقه ، ولقد كانت من أولى الكلمات الموجة إليه " قم فأنذر " وتوالت الآيات التي تحدد مهمته في التبليغ عن ربه والإنذار والتبشير ، ومن هذا كله ترجع لدينا حمل الروح المسنول عنه في سورة الإسراء على القرآن الكريم^(١) .

وما جاء في سبب النزول^(٢) وهو: أن اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم - عن الروح ، فسكت ونزل عليه الوحي ، فلما سري عنه

^١ تفسير الشيخ شلتوت ص ٥٤٩ ، ٥٥٠ .

^٢ ينظر صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب ويسئلونك عن الروح - ج ٢٩٩/١٧ : ٢٩٧ - مع الفتح - نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، وصحيح مسلم بشرح النووي - كتاب صفة القيامة والجنة والنار - باب سؤال اليهود النبي عن الروح - ج ٦٦٣/٥ ، ٦٦٢ - ط دار الشعب .

تلا قوله تعالى: (وَسْتَلْؤُنَاكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ
مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) [الإسراء: ٨٥]

هذا وما ذكر في الصحيحين من روايات يفيد أن الآية مدنية، وهناك روايات أخرى في نفس سبب النزول تفيد أن الآية مكية، ومن ثم يتبين أن في سبب النزول اختلافاً بين في كون الآية مكية أو مدنية ، وحاول بعض العلماء التوفيق بين ذلك على أنها نزلت مرة بمكة ومرة بالمدينة.

والشيخ شلتوت بهذا الفهم والاختيار يؤكد على أن القرآن الكريم وحدة موضوعية مترابطة الأجزاء ، يرتبط السابق باللاحق ، وما ذكره العلماء من تفسيرات غير ذلك ، هو بيان لما يحتمله النظم من وجوه ، وليس تعييناً لمعنى واحد ، والقرآن حمّال ذو وجوه في كثير من آياته .

كما أنه يقدم دلالة السياق القرآني على أسباب النزول المختلف فيها والظنية ، ويرجح أن الآية مكية ، ويكون المراد بالروح هو القرآن الكريم كما يدل عيه سابق الآية ولاحقها وسياقها.

وقد اختار هذا الرأي كثير من المفسرين منهم ، الإمام الرازي - رحمه الله - حيث قال: "... فلما كان ما قبل هذه الآية في وصف القرآن ، وما بعدها كذلك أيضاً في وصف القرآن ، وجب أن يكون المراد من هذا الروح هو القرآن ، حتى تكون آيات القرآن كلها متناسبة متناسقة".^(١)

^١ التفسير الكبير للفخر الرازي- ج ٣٨/٢١ ، ٣٩- ط الثانية - نشر دار الكتب العلمية- طهران.

وأيضاً اختار هذا الرأي الإمام الآلوسي في تفسيره^١.

ومن المفسرين المحدثين الذي رجح أن المراد بالروح القرآن الكريم ، الشيخ جمال الدين القاسمي ، حيث ذكر أن هذا القول هو ما يراه متعيناً في هذه الآية ، موضحاً دلالة السياق في ذلك ، ثم قال : " والقاعدة: أن القرآن متجاوب الأطراف يفسر بعضه بعضاً ، وجميع ما ذكره المتقدمون غير ما ذكرنا جرى مع ما يحتمله نظم الآية الكريمة ، وكذلك رواية ابن مسعود أنه أجيب بها اليهود ؛ لأنها لما كان لها وجوه من المعاني ومنها ما سألوا عنه أقموا بها"^(٢).

وبهذا يتضح أن سبب النزول لا يعين المراد قطعاً ؛ لأنه ظني مختلف فيه.

من خصائص منهجه في تفسيره:

الاحتكام إلى الدلالة الصريحة لألفاظ القرآن الكريم:

من أمثلة ذلك: عند تفسيره للآيات الست الأولى من سورة البقرة حيث تحدثت عن المتقين والكافرين، يقول:

" يرى بعض الناظرين في القرآن أن الله - سبحانه - يتحدث في هذه الآيات عن الطرفين الكاملين من الفريقين فهو حين يصف المؤمنين بهذه الأوصاف يريد أرباب الإيمان الكامل الذين لم يلبسوا إيمانهم بشيء

^١ ينظر روح المعاني للآلوسي- ج ١٥ / ١٥٢ ، ١٥٣ - دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.

^٢ ينظر محاسن التأويل للقاسمي - ج ١٠ / ٣٩٩٤ ، ٣٩٩٥ - ت / الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي - ط عيسى البابي الحلبي.

مأ من المخالفات والعصيان ، كما أنه حين يتحدث عن الكافرين يريد الذين فسدت فطرتهم تماماً فلم يعرفوا الخير في صورة ما من صورته ، وأن هذا لا ينافي أن من المؤمنين فريقاً لم تكمل فيه تلك الصفات ، وهم يتراوحون في درجات الإيمان المتفاوتة ، وهؤلاء ليسوا من الذين يقول الله فيهم :

(أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُغْلَبُونَ) ﴿٥﴾ [البقرة: ٥]
فإن ذلك خاص بالكاملين.

والذي أراه : أن القرآن لم يجعل الإنصاف بهذه الأوصاف عنواناً على العصمة من الذنوب أو المخالفة في لون ما من ألوانها ، والحكم في هذا هو الآيات الواردة في سورة آل عمران وهي قوله ﴿ * ﴾
وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٣﴾
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظَّيْمِينَ الْفَتَىٰ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن شَيْءٍ أَلَّا يَغْفِرَ اللَّهُ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُعِزُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾ آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦]

فقد جعل مما تتناوله كلمة المتقين (إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ) فسوى بين هؤلاء وبين من كملت فيهم أوصاف الإيمان من جهتين : من جهة

إندراجهما معاً في المتقين ، ومن جهة الجزاء المعد لهم (أُولَئِكَ
جَزَاءُكُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتِ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعَمَ
أَجْرُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾

نعم بقي فريق ثالث : هو الذي يزعم لنفسه أنه مصدق بالله
واليوم الآخر ، وهو يفعل الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا
يذكر الله فيستغفر لذنبه بل يستمر طول حياته غافلاً عن ربه غير
ذاكر لعظمته ، اللهم إلا تلك الكلمة التي يجريها على لسانه ؛ ليعلن
بها تصديقه وإيمانه دون أن يكون لهذا الإيمان ، وذلك التصديق
ما يدل على انطباعه في النفس وتمكنه من القلب .

وهذا في رأينا : ليس من فريق المتقين المؤمنين ، وليست
هناك منزلة بين الذين سعدوا والذين شقوا ، وفريق الجنة وفريق
السعير (١) .

أيضاً من خصائص منهجه:

إحاءات دلالات ألفاظ القرآن الكريم:

وجه الشيخ شلتوت-رحمه الله- نظر الدارسين لكتاب الله العزيز،
أن ينتبهوا إلى إحاءات القرآن الكريم ؛ ليقفوا على ما فيها من العبرة
والعظة ، وينهلوا من حكمتها، ويرشدوا الناس إليها للإنتفاع بها. وذلك
أن الأسلوب القرآني ، كلمات وجمل وعبارات لها إحاءات وراء

^١ تفسير الشيخ شلتوت ص ٥٨ ، ٥٩

الدلالات التي تؤخذ منها بمقتضى اللغة العربية ، إذ وسيلة فهم القرآن الكريم هي اللغة العربية.

فعند تفسيره لقوله تعالى من سورة الأعراف : (يَبْقَىٰ ٱدَمَ قَدْ ٱزَلْنَا
عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوَءَ تَكْمُ وَرِيثًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِّنْ
ءَايَاتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) الأعراف: ٢٦

يقول الشيخ-رحمه الله-: " امتن الله-سبحاته وتعالى- على عباده بأن هيا لهم سبيل الحصول على الملابس الذي يسترون به عوراتهم ويريشون به أنفسهم في مناسبات التجمل ، هيا لهم مادته من القطن والصوف وما إليها ، وألهمهم بما خلق فيهم من غرائز طرق استنباتها وطرق صناعتها بالغزل والنسج والخياطة ، ولفت أنظارهم إلى أن تقوى الله في الانتفاع بتلك النعمة والوقوف بها عند الحد الذي رسم ، وهو أساس الرضا وأساس الشكر، وهو الذي يحفظ السوءات من أن تُرى أو تظهر".

ثم يقول: " وإذا كان للقرآن دلالاته الصريحة التي تدل عليها كلماته بمقتضى اللغة العربية التي نزل بها، فإن له بعد تلك الدلالات إichاءات جدير بالناظرين فيه ، وبالمتعرفين على نواحيه أن ينتبهوا إليها ، وأن يسيروا في طريق معرفتها والانتفاع بها. وهذه آية اللباس وإنزال مادته، وتمكين الناس منها ، تتحدث عن اللباس الموارى للسواة وعن الرياش ، وعن لباس التقوى ، وهي بعد توحى لتحقيق ثياب المواراة والرياش بالصناعة وبالجد في تحصيل موادها ، وتوحى بأن ستر

العورة وزينة التجميل من أهداف الحكمة الالهية في تمكين الإنسان من مادة اللباس وصناعته ، ومن طلب التقوى ومراعاة حق الله.

ولعل في هذا الإيحاء تعريضاً بأن عادة العرى التي يألفها بعض القبائل المتوحشة ، وعادة إبداء شيء من مفاتن الجسم كما يراه دعاة الحضارة الفاسدة ، مخالف للأدب الإنساني وافرشاد الإلهي ، وأرجو أن يكون لهؤلاء وهؤلاء من هذا الغيحاء الواضح ما ينبه وعيهم إلى هذا الأدب الذي يضعه الله بأصله ، ويرشد إليه في هذا النداء الكريم ، أرجو أن يكون لهم من هذا الإيحاء ما ينبههم إلى أن الحضارة الحقّة ليست في كشف المفاتن ، ولا في إظهار العورات المثيرات للغرائز، وإنما الحضارة الحقّة في السير على سنة الله وعلى مقتضى ما أودع في الإنسان من الشعور الفاضل النزيه . أرجو أن يجدوا في هذا ما يحيي وعيهم ويرشدهم إلى أن النزوع إلى هذه التقاليد الفاسدة ، التي سرت إلى جماعة المسلمين من قوم حرموا من النظر في آداب الله وإرشاداته ليس إلا تلبية لفتنة الشيطان وتلهية لهم عن منهج دينهم النظيف القويم الطاهر العفيف^(١).

أيضاً عند حديث الشيخ عن منزلة العلم في القرآن ، وأن الإسلام دين العقل والعلم ، يؤكد على النظر في دلالات القرآن وإيحاءاته.

^١ تفسير الشيخ شلتوت ص ٤٧٢ ، ٤٧٣ - ط السابعة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - دار الشروق.

يذكر الآيات الأولى من سورة العلق ، والآيات الأولى من سورة

القلم: (أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② أَقْرَأْ وَرَبُّكَ

الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤) [العلق: ١ - ٥]

وقوله تعالى: (تَبَّ ① وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ②) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

بِمَجْزُونٍ ③) [القلم: ١ - ٢]

يقول الشيخ تحت عنوان: العلم ليس خاصاً بمعرفة العلوم الدينية:

يطلب القرآن القراءة على الإطلاق دون تقييد مخصوص ، ويطلب العلم والنظر على الإطلاق دون تقييد بمعلو مخصوص أو منظور مخصوص: (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)¹، ويرشدنا هذا الإطلاق إلى أن العلم في نظر القرآن ليس خاصاً بعلم الشرائع والأحكام من حلال وحرام ، وإنما العلم في نظره هوكل إدراك يفيد الإنسان توفيقاً وإعانة في القيام بمهمته العظمى التي ألقيت على كاهله منذ قدر خلقه ، وجعل خليفة في الأرض وهي عمارتها واستخراج كنوزها، وإظهار أسرار الله فيها وشكر نعمة الله عليها ، واليقين بواحدانية الله وقدرته ، وأنه المستحق وحده للعبادة.

فإدراك ما يصلح به النبات وينمو ويثمر، وما تستتبت به الأرض وتحيا علم مطلوب.

¹ (سورة الزمر آية/٩).

وإدراك ما يصلح الحيوان ، ويستمر به نسله، وتتصل به قوته
وينتفع به ، علم مطلوب.

وإدراك الطرق المشروعة التي تحصل بها الأموال ، والتي تنظم
مواردها ومصارفها، علم مطلوب.

وإدراك موارد الصناعة على اختلاف أنواعها وكيفياتها وتوزيعها،
علم مطلوب.

وإدراك الأمراض وعملها ، وكيفية علاجها وطرق الوقاية منها،
علم مطلوب.

وإدراك ما تعرفه الأمم من وسائل الدفاع والهجوم حفظاً للديار
ودفاعاً عن الدين ، ونشراً له بين العالمين، علم مطلوب.

وقد جاء الإحياء بهذا كله جلياً واضحاً في القرآن الكريم ، وبه كان
العلم بـمعناه العام والشامل- العنصر الأول من عناصر الحياة في نظر
الاسلام. وقد أدرك المسلمون الأوائل إحياء القرآن في كل ذلك وأدركوا
قيمة العلم ومنزلته وضرورته في سعادة الأمم والأفراد، وانطلقوا على
هدي القرآن أئمة يهدون بأمر الله ، ويجوبون البقاع نشراً للدين ،
وإعلاء لكلمة التوحيد، وأفاضوا من علومهم على الناس ، وأناروا لهم
طرق البحث والمعرفة...وكانوا يجدرين بحق أن يكونوا كما وصفهم

القرآن (خير أمة أخرجت للناس)^(١)، هذه هي مكاتبة العلم كما يقررها
القرآن ويوحى بها القرآن^(٢).

(١) سورة آل عمران/ آية ١١٠.
(٢) ينظر من توجيهات الاسلام للإمام الأكبر الشيخ شلتوت ص ١٤٧ : ١٥٠ باختصار - ط ١٩٦١م - دار القلم.

خاتمة

كان الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت، علم من أعلام الفكر الاسلامي الحديث، وأحد شيوخ الأزهر البارزين في مجال الإصلاح الديني والاجتماعي ؛ ولذلك فقد فسّر القرآن الكريم تفسيراً يبين فيه مدى هدايات القرآن في كل مجال من مجالات الحياة ، حيث لم يترك شاردة ولا واردة إلا وقد أحصاه وأوضحها وبينها بأسلوب غاية في الجزالة، وحسن الترتيب وسياق نظم.

أحب الشيخ شلتوت القرآن ودراسته ووضع في المقام الأول دلالات القرآن ، فكان لمأخذاً ذوقاً لمعاني القرآن الكريم ودلالاته، وكان من أهم خصائص منهجه ، التمسك بعموم القرآن وظواهره ودلالاته ؛ لأن القرآن قطعي الثبوت والورود.

كان الشيخ شلتوت رمزاً لفكر واتجاه ومنهج موضوعي ، غايته توجيه الخلق إلى هدايات القرآن والعمل بها، حيث عايش الواقع الاسلامي للحياة المعاصرة ، وعالجها بمنهج القرآن، وربط التفسير بالواقع، وفسّر القرآن بمقتضى السياق القرآني، وأظهر دلالاته ، واستنبط إichاءته ، ودعا إلى فهم الدين فهماً صحيحاً واضحاً أخذاً من مصادره الأصلية وهي الكتاب والسنة، دون تعصب لمذهب معين أو تقييد لرأي خاص.

حقاً فإن تفسيره يعد في مقدمة التفسير الموضوعي، حيث يرى
السورة القرآنية وحدة موضوعية ، وأن الموضوعات تتلاحم وتتربط
في سور القرآن الكريم عضوية واحدة متكاملة.

لقد أثرى العقل والفكر الاسلامي ، وترك تراثاً قيماً ظهرت فيه
شخصيته المستقلة ، كل ذلك برجاحة عقل ، وغزارة علم ، وبلاغة قلم
؛ فكان رائداً سباقاً ، سبق عصره بفكره وعلمه ، وبحثه وتحقيقه.

رحم الله الشيخ رحمة واسعة ، وجزاه عن العلم والعلماء خير
الجزاء إنه ولي ذلك والقادر عليه.

اسأل الله التوفيق والسداد والثبات ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب
العالمين.

ثبت المراجع

- ١- الأثر في اثني عشر عاما - نشر إدارة الأثر.
- ٢- أصول الفقه للشيخ أبو زهرة - دار الفكر العربي - القاهرة .
- ٣- تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا - ط دار الكتب المصرية .
- ٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للأوسى - ط دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ٥- شروح التلخيص طبعة دار الإرشاد الإسلامى بيروت
- ٦- شيوخ الأثر تأليف أشرف فوزي .
- ٧- علم أصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاف - مكتبة الدعوة الإسلامية .
- ٨- الفتاوى للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت - ط دار القلم .
- ٩- القاموس المحيط للفيروزآبادي .
- ١٠- لسان العرب لابن منظور المصري - دار المعارف بمصر.
- ١١- مشيخة الأثر للأستاذ علي عبد العظيم - طبع البحوث الإسلامية بالأثر، سنة ١٩٧٩م.

- ١٢- أساس البلاغة للإمام الزمخشري أبو القاسم جارالله محمود بن عمر- ط٥١٤٠٢- ١٩٨٢م- دار المعرفة بيروت- لبنان.
- ١٣- تاج العروس من جواهرالقاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي- ط وزارة الإعلام الكويت.
- ١٤- كتاب التعريفات لعلي بن محمد بن السيد الشريف الجرجاني - تحقيق د/عبد المنعم الحفني- دار الرشد ١٩٩١م.
- ١٥- دلائل الإعجاز لعبد القادر الجرجاني - ت/الشيخ محمود محمد شاكر- مكتبة الخانجي- القاهرة.
- ١٦- الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٥٢٠٤هـ) ت/ خالد العلمي- دار الكتاب العربي- بيروت.
- ١٧- السلسلة الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف الرياض ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١٨- المستدرك للحاكم - دار المعرفة بيروت.
- ١٩- الجامع الكبير للإمام الترمذي - ت/ د. بشار عواد معروف - ط الثانية ١٩٩٨م- دارالغرب الاسلامي -بيروت.
- ٢٠- صحيح الإمام البخاري مع شرحه فتح الباري لابن حجر العسقلاني - نشر مكتبة الكليات الأزهرية.
- ٢١- صحيح الإمام مسلم بشرح النووي - ط دار الشعب.
- ٢٢- التفسير الكبير للفخر الرازي- ط الثانية - نشر دار الكتب العلمية- طهران.

- ٢٣- روح المعاني للآلوسي- دار إحياء التراث
العربي- بيروت- لبنان.
- ٢٤- محاسن التأويل للقاسمي - ت / السّاذ محمد فؤاد
عبد الباقي - ط عيسى البابي الحلبي.
- ٢٥- من توجيهات الاسلام للإمام الأكبر الشيخ شلتوت
- ط ١٩٦١م- دار القلم.
- ٢٦- الاعلام لخير الدين الزركلي- ط السادسة
١٩٨٦م- دار العلم للملايين.
- ٢٧- النهضة الاسلامية في سير اعلامها المعاصرين.
د. محمد رجب البيومي - ط- مجمع البحوث الاسلامية سنة
١٩٨٢م.
- ٢٨- الشيخ شلتوت ومنهجه في التفسير، رسالة دكتوراه
مقدمة لكلية أصول الدين القاهرة سنة ١٩٨٩م للباحث عبدالعزيز
عزت .